

## فكرة التعاون

تاريخ نشأتها واهتمام المصريين بها

للدكتور ابراهيم رشاد بك

”التعاون“ بوصفه العالمى الحالى نظام اقتصادى اجتماعى وفق اليه العمل فى إنجلترا فى منتصف القرن التاسع عشر تحت ضغط الأحداث القاسية التى كانوا يعيشون فيها من انخفاض فى الأجور وغلاء فى تكاليف المعيشة .

وكانت أولى الجمعيات التعاونية جمعية « روتشيل » بالقرب من مانشستر عام ١٨٤٤ ، وقد تأسست على الأوضاع والمبادئ التعاونية الصحيحة حتى أثر ما بذله كبار المصلحين الاجتماعيين من رواد التعاون وعلى رأسهم « روبرت أوين » الذى يسمى « أبى التعاون » .

وقام بتأسيس هذه الجمعية ثمانية وعشرون نساجا ساهم كل منهم بئجه واحد ووضعوا لأنفسهم برنامجا واسع المدى ، كما حددوا المبادئ التى تسير عليها جمعيتهم . وبدأ هؤلاء النساجون عملهم بإنشاء محل متواضع لبيع عدد من أصناف ” البقالة “ لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وبذلك أصبحت جمعيتهم هذه نواة التعاون فى العالم ، وقد ساروا بها بهمة وعزيمة على مدى مبادئ سبعة وضعوها لأنفسهم ثم ما لبثت أن صارت الأسس التى يقوم عليها التعاون فى كل قطر مهما اختلفت أشكاله وتباينت أغراضه . وتتلخص تلك المبادئ فيما يأتى :

أولا — ” الباب مفتوح “ بمعنى أن عضوية الجمعية مباحة للجميع .

ثانيا — ” الديمقراطية فى الإدارة “ فلكل عضو صوت واحد فى الجمعية العمومية — التى هى مصدر السلطات — مهما يكن عدد الأسهم التى يمتلكها :

ثالثا — ” العائد “ وهو الربح الصافى الذى ” يعود “ الى الأعضاء فى ختام السنة بنسبة معاملة كل منهم للجمعية .

رابعا — الفائدة المحدودة على رأس المال ، فلا يجوز أن تزيد على ٦٪ لأن الأساس فى التعاون الخدمة لا الربح .

خامسا - الابتعاد عن التدخل في الدين والسياسة .

سادسا - المعاملة تقدا لتعويد الأعضاء على موازنة دخلهم وخرجهم .

سابعا - نشر التعليم والثقافة .

ونمت جمعية " روتشيل " حتى بلغت درجة كبيرة من العظمة ودعاها هذا النمو الى الانتقال من دارها الأولى الى أنخم دار في البلدة ، أما مقرها الأول فقد أصبح متحفنا تعاونيا يفد اليه التعاونيون من سائر أنحاء العالم .

وما كادت جمعية روتشيل ترضى في عملها حتى علم بها القريب والبعيد ، وأخذ الأهالي ينشئون في مختلف أنحاء إنجلترا الجمعيات التعاونية على غرارها ، واستمر التسابق في إنشاء هذه الجمعيات حتى بلغ عددها في عام ١٩٣٧ ( ١٠٩٤ جمعية ) تضم ٨,٠٨٥,٠٠٠ عضوا وقد بلغ رأس مالها ١٥٠ مليوناً من الجنيهات ، وقيمة معاملاتها ٢٥١ مليوناً في العام .

ولما اتسعت الحركة شجعت الجمعيات بالحاجة الى جمعية مركزية تهيمن على شئونها وتمتددا جميعا بما تحتاج اليه من أصناف المأكل والملبس ومختلف حاجات المنازل سواء بالتوسط في توريدها اليها أو بانتاجها في معامل ومزارع تمتلكها وتديرها . وقد أسست الجمعيات التعاونية جمعيتها المركزية للاتجار بالجملة بمدينة مانشستر عام ١٨٦٣ وأمدتها بالمال والرجال على أن يعود ما تجنيه من ربح صاف الى الجمعيات التي ساهمت في تكوينها بنسبة تعاملها معها وهي نفس الطريقة التي توزع بها الجمعيات المحلية " العائد " على أعضائها .

وقد بلغت قيمة منتجات الجمعية المركزية للاتجار بالجملة في إنجلترا ٢٠ مليوناً من الجنيهات عام ١٩٣٧ وبلغ مجموع مبيعات هذه الجمعية ٦٠ مليوناً ، وكان رقم أعمال البنك التعاوني للمستهلكين ٣٩٣ مليوناً .

وهكذا تم تكوين الحركة التعاونية في إنجلترا ، ولم يبق غير خلق رأس المال ، وقد تم ذلك أيضا عام ١٨٧٣ إذ أسس التعاونيون بأموالهم ورجالهم اتحادا لهم في مدينة مانشستر ذاتها وتعتبر معقل التعاون في تلك البلاد . وتتلخص مهام هذا الاتحاد التعاوني فيما يأتي :

( أ ) توجيه الجمعيات وإرشادها .

( ب ) الإشراف على أعمالها ومراجعة حساباتها .

( ج ) تمثيلها والدفاع عن مصالحها .

( د ) نشر الدعاية التعاونية .

(هـ) نشر التعليم التعاوني .

(و) توحيد القوى المعنوية للتعاون وإيجاد رأى عام تعاوني .

وأُنشأ الاتحاد التعاوني في عام ١٩١٨ كلية التعاون وجعل مقرها مانشستر لتكون مبعث التعليم التعاوني ومقصد طلاب التعاون من كافة الأرجاء . ثم كملت الهيئات التعاونية العليا بالمؤتمر التعاوني الذي يعقد كل عام في إحدى المدن الإنجليزية الكبيرة ، ويفد إليه ممثلو الجمعيات للبحث في شؤونهم التعاونية . ومن الخدمات الجليلة التي يؤديها المؤتمر للتعاونيين إصداره بعد كل اجتماع يعقده تقريرا عاما عن الحركة التعاونية في إنجلترا ، شاملا كل البيانات والإحصاءات عن تلك الحركة .

ذاع نبا هذه الحركة الديمقراطية حتى عم القارات الخمس ووقف العالم بأجمعه على عظم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية التي يقدمها التعاون للشعوب . ودعا ذلك الأقطار إلى اقتباس سبائده ثم تصرفت في تطبيقها بما لا يمس المبادئ الأساسية . وبعد أن نشأ التعاون استهلاكيا في إنجلترا صار زراعيا في الدانمارك ، وماليا في ألمانيا ، وصناعيا في فرنسا . وهكذا استفادت هذه البلاد وغيرها من النظام التعاوني استفادة تتناسب مع أحوالها وطبيعتها . ويتضح مدى اتساع الحركة التعاونية في العالم من الاحصاء الآتي :

عدد الجمعيات التعاونية	عدد الأعضاء	قيمة المعاملات السنوية
٧٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه

ووصلت دعوة التعاون وفكرته إلى مصر عام ١٩٠٨ على يدي رجل التعاون والقانون "عمر لطفى" واهتم بالتعاون في نفس الوقت المغفور له السلطان "حسين كامل" "أبو الفلاح" وإذا كان هذان الزائدان قد دخلا ميدان التعاون من باين مختلفين فانهما خرجا بنتيجة واحدة هي ضرورة توطيد التعاون في مصر على أساس شعبي ، لما في ذلك من خير عميم للبلاد وأهلها .

أما عمر لطفى فمع علمه بأن التعاون يعوزه التشريع فقد سعى للتغلب على هذه العقبة واجتهد في التوفيق بين الفوائن السارية وبين قواعد التعاون ، كما اهتم بالتعاون في الريف والحضر على السواء . وسافر عمر لطفى إلى إيطاليا التي وجد فيها مثله الأعلى والتي أخذ فيها التعاون على "لويجي لوتزاني" زعيم حركته ووزير المسالية في ذلك الوقت . ولما عاد من رحلته إلى الخارج طاف البلاد مبشرا بفكرته ، وقد نجح في تأسيس عدد من الجمعيات الزراعية والمالية والمنزلية في مختلف المدن والقرى وبذلك كان أول من رفع لواء التعاون في مصر .

واما السلطان "حسين كامل" فقد بدأ بالسعى في وضع تشريع للتعاون ، وألف لجنة في الجمعية الزراعية لهذه الغاية ، وقصر اهتمامه على التعاون الزراعى دون غيره من وجوه التعاون ولما كان مثله الأعلى فرنسا فقد استدعى "المسيو جوزيف ريبه" للاستعانة به في وضع الأسس التعاونية الزراعية .

غير أن تسمية الشعب وقدرته على العمل لم تكونا في ذلك الحين قد تهيأتا للنظم التعاونية والسير بها بنجاح . وأدى ذلك الى ضعف الجمعيات أو "الثقابات" كما كانت تسمى في ذلك الوقت ، ثم ما لبثت أن اضمحلت وأدرکها الفناء ، كما لم تتمر الجهود التي بذلت لإصدار تشريع تعاوني ، لأن الحكومة كانت تنظر إذ ذاك الى الحركة التعاونية بعين الريبة .

وهكذا قضى على النهضة الأولى للحركة التعاونية ، تلك النهضة التي قام بها الشعب بقيادة رجاله ، وإذا كان عمر لطفى وأنصاره ، والسلطان "حسين كامل" ومن تبعه قد أخفقوا في إقامة حركة تعاونية شعبية موطدة الدعائم في مصر فقد نجحوا في تهيئة الشعب واعداد الحكومة للتضامن معا — فيما بعد — لإقامة صرح الحركة التعاونية المرجوة . وبدأت النهضة الثانية للحركة التعاونية التي يرجع الفضل في نجاحها الى تضايف الأمة والحكومة على وضع أسسها التشريعية والتنظيمية والمالية منذ عام ١٩٢٣ أى بصدر قانون التعاون الذى أنشأ ديوانا عاما ليرعى تلك الحركة التعاونية المباركة .....

ولنتحدث الآن عن الحركة كما هي فائمة في الوقت الحاضر دون أن ندخل في تفاصيل التعديلات التي أدخلت على قانون التعاون في سنة ١٩٣٧ ، أو نذكر أسباب نقل الإشراف على الحركة التعاونية من وزارة الزراعة الى وزارة أخرى ، أو نورد ما طرأ على طرق تمويل الجمعيات من تطورات ، وانين أولا كيف تدار الجمعيات وإلى أى مدى تشرف الحكومة عليها .

توكل الجمعية التعاونية الى مجلس إدارة مكون من خمسة الى سبعة أشخاص تنتخبهم الجمعية من بين أعضائها ، وهم في الغالب من أهل الرأي والجاه في الجهة . وينتخب هذا المجلس من بين أعضائه رئيسا ونائبا ورئيسا وسكرتيرا وأمين صندوق، ويجتمع من وقت لآخر بحسب الحاجة ، ويدون مداولاته في دفتر خاص بمحاضر الجلسات . وهو الذى يدير الجمعية ويتف على طالبات الأعضاء ، ويعقد الصنفقات . أو بعبارة أخرى هو الذى يقوم بكل أعمال الجمعية باسمها في حدود قانون التعاون ونظام الجمعية الداخلى وقرارات الجمعية العمومية .

ويراقب تصرفات مجلس الإدارة " لجنة مراقبة " مكونة من ثلاثة تنتخبهم الجمعية العمومية من بين الأعضاء ، والحكمة في ايجاد هذه اللجنة اتخاذا الحيطه كيلا يحميد مجلس الإدارة عن جادة الصواب ، وتجتمع اللجنة كلما دعت الضرورة ، أما الجمعية العمومية - وهي مصدر السلطات جميعا - فتعقد مرة في السنة ، ولكل عضو فيها صوت واحد مهما يكن عدد الأسهم التي يملكها .

وتشرف ادارة التعاون على شؤون الجمعيات وأعمال القائمين بها .

إن بلادا زراعية كمصر لا بد أن تكون حركتها التعاونية ذات صبغة زراعية ، غير أن ذلك لا يحول دون قيام أنواع الجمعيات التعاونية غير الزراعية كالجمعيات المنزلية والصناعية فلكل منها ميدان تعمل فيه وخدمات تقدمها الى الشعب .

وإذا كان مجال الحركة التعاونية في المدن فإن جزءا كبيرا منها يعود ولاشك على القرويين كما أن دخول التعاون ميدان الصناعة في مصر يكون غالبا في تلك الصناعات المرتبطة بالزراعة كالألبان ، والمهاج ، وغزل القطن ، والصوف ونسجها ، واستخراج الزيوت وصنع " المرببات " والنحالة .

ومع أن معظم الجمعيات التعاونية القائمة في مصر الآن زراعية الا أنه يوجد ٥٠ جمعية منزلية ، وواحدة صناعية وكلها محلية بمعنى أن أعضائها أفراد ومنطقة عمل كل منها محدودة إلا نحس جمعيات مركزية بمعنى أن أعضائها جمعيات محلية ، ومنطقة كل منها واسمة تتناول مديريةية بأكملها أو تتناول القطر المصري كله .

ابراهيم رشاد

### باقة من حكم الإمام

- افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير .
- من أصلح سريره أصلح الله علاقته ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس .
- الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع ، فاسترخل خلقك بحملك وقاتل هوالك بعقلك .
- إن لله عبادا يمتصهم بالنعم لمنافع العباد فيقزها في أيديهم ما بدلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم وحوّلها إلى غيرهم .
- كل يوم لم تعص الله فيه فهو عيد .
- الناس أعداء ما جهلوا .
- إذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا أخواتها .